جامعة القاهرة
كلية دار العلوم
قسم الفلسفة الإسلامية

خلود النفس بين الفلاسفة الإسلاميين والصوفية حتى نهاية القرن السادس الهجري

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الفلسفة الإسلامية

إعداد

عبد الحي الكتاني وردي

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور/ السيد رزق الحجر

أستاذ الفلسفة الإسلامية

كلية دار العلوم- جامعة القاهرة

١٤٣٥ هـ/ ٢٠١٤م

﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴾

[إبراهيم: ٤١]

الإهداء

إلى والدَيّ اللذَين أحسنا تربيتي وغمراني بكل الحب والحنان
ولهما مني جزيل الشكر والعرفان
وأتمنى لهما المغفرة من الله يوم الحسبان

وإلي زوجتي الغالية التي تجلّت لي معها آيةُ الله
الذي خلق لنا من أنفسنا أزواجاً لنسكن إليها
وجعل بيننا مودة ورحمة.

الشكر والتقدير

أحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وأزواجه وذرياته وصحبه الكرام.

امتثالا لقوله تعالى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ النمل: ٤٠.

واقتداء بهدي رسول الله ﷺ: « من صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه »[1].

فأتوجه في هذا المقام بالشكر لله سبحانه وتعالى وليّ كل نعمة وفضل على ما هداني إليه في هذا البحث.

كما أتوجه بخالص شكري وتقديري إلى أستاذي الفاضل **الأستاذ الدكتور/ السيد رزق الحجر** الذي حظيت بشرف إشرافه على هذا البحث؛ لأياديه البيضاء عليّ وعلى زملائي جميعاً، ولما بذله من جهد في تقويم هذا البحث وتوجيهه. لقد تعلمنا منه الوفاء قبل العلم، ولا أملك رداً لفضله عليّ إلا أن أدعو الله سبحانه وتعالى أن يبارك في علمه وعمله ويجزيه خير الجزاء.

كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى الأستاذين الفاضلين الجليلين:

الأستاذ الدكتور/ عبد الحميد عبد المنعم مدكور، أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة، وعضو مجمع اللغة العربية (القاهرة).

و**الأستاذ الدكتور/ محمود محمد محمد سلامة**، أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة المنيا.

على قبولهما مناقشة هذه الرسالة، وتقويمها وتوجيه كاتبها، فجزاهما الله عني خير الجزاء.

---

[1] الحديث أخرجه أبو داود عن عبد الله بن عمر في سننه: ٢/ ١٣، كتاب الزكاة، باب عطية من سأل، والنسائي عن عبد الله بن عمر في سننه: ٥/ ٨١٢، كتاب الزكاة، باب من سأل بالله.

كما أتوجه بوافر الشكر والعرفان والامتنان إلى جميع أساتذة قسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم، على كريم عطائهم وجميل أخلاقهم، فجزاهم الله تعالى عني وعن زملائي الدارسين خير الجزاء.

كما أتوجه بكل الشكر والتقدير إلى والدّي الكريمين، اللذَين غرسا في نفسي حب العلم والعلماء، وشجعاني دائما للكفاح في الحياة، فأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل في صحيفتيهما يوم القيامة، وأن يغفرلهما ويرحمهما كما ربياني صغيرا، ويدخلهما الجنة مع الأنبياء والصالحين.

كما أتوجه بكل الشكر والامتنان والحب إلى شريكة حياتي ورفيقة دربي، إلى زوجتي وأولادي الذين تحمّلوا الصبر وقدّموا التضحيات في سبيل إنجاز هذه الرسالة، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يبارك الله فيهم ويجزيهم أحسن الجزاء ويحفظهم من كل سوء.

وأشكر كل القائمين بجامعة القاهرة، وخاصة كليةِ دار العلوم، على ما أتاحوا لي الفرصة للدراسة في هذه الجامعة العريقة.

وأشكر أيضاً كل من ساعدني في إخراج هذا البحث، وأدعو لهم بكل خير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وأزواجه وذرياته وصحبه الكرام.

وبعد:

فالخلود هو ما يتمناه كل إنسان تقريبا. إلا أن الموت كان مصيره المحتوم. فلا مهرب للإنسان من مواجهة الموت. فالموت هو الذي فتح عقل الإنسان للتفكير لما بعد الموت، ولعالم الغيب المجهول. وهو مسيرة تدغدغ مشاعر كل ذوي الألباب، وتجذب كل وسائل معرفتهم للبحث والتنقيب للوصول إلى حقيقة يقينية في هذه المشكلة المصيرية[١].

ثم إن الإيمان بالبعث والخلود بعد الموت يمد في وجود الإنسان ويملؤه إحساسا بأنه خالد. وأن خلوده يقتضيه ضريبة العمل الصالح والسعي الحميد واستثمار كل ما يملك من جهد ووقت فيما ينفع ويفيد[٢].

---

[١] See: Evelyn Underhill, *The Mystic Way*, J.M. Dent & Sons, LTD, London and Toronto, 1914, p. 4.

[٢] د. محمد أحمد عبد القادر، **عقيدة البعث والآخرة في الفكر الإسلامي**، ص ٣٨، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٦ م.

وعلى صعيد تعاليم الدين الإسلامي، فقضية البعث قاعدة أساسية في العقيدة الإسلامية. وعليها يقوم التصور الكلي لمقتضيات هذه العقيدة. فالمسلم مطلوب منه أن يقوم على الحق ليدفع الباطل، وأن ينهض بالخير ليقضي على الشر، وأن يجعل نشاطه كله في الأرض عبادة لله، بالتوجه في هذا النشاط كله لله. وهو في هذا النشاط، يتمنى الحصول على الجزاء من الله تعالى. وهذا الجزاء قد لا يتم في رحلة الأرض. فيؤجل للحساب الختامي بعد نهاية الرحلة كلها. فلا بد إذن من عالم آخر، ولا بد إذن من بعث للحساب في العالم الآخر. ولذلك فالعقيدة بالبعث بعد الموت، أو الخلود من أساسيات العقيدة لكل مؤمن بالعقيدة الإسلامية. والذي لا يؤمن بهذه العقيدة لا يعتبر مؤمنا إيمانا صحيحا في نظر العقيدة الإسلامية. وحين ينهار أساس الآخرة في النفس ينهار معه كل تصور لحقيقة هذه العقيدة وتكاليفها ؛ ولا تستقيم هذه النفس على طريق الإسلام أبداً [1].

وفي نظر العقل والمعرفة، إن مسألة الحياة بعد الموت هي من مسائل بحث وتفكير، وليس قصارها أنها مسألة اعتقاد وإيمان. فالعقل لا يخرجها من متناول بحثه، وأصحاب العلم التجريبي أنفسهم لا يملكون من أسانيدهم العلمية ما يسوغ لهم بإغلاق الباب فيها، لأنهم لم يحصروا قط طبيعة الحياة، ولم يثبتوا قط أنها وليدة المادة الصماء. فليس لهم أن ينقضوا ويبرموا في طبيعة شيء ليس بالمحصور في عملهم وليس مقطوعا لديهم بأصل تكوينه وغاية مصيره. لكن العقل نفسه يستلزم فارقا لا بد منه بين تمثيل الحقيقة للبحث والتفكير وتمثيل هذه الحقيقة بعينها للتدين والاعتقاد[2].

---

[1] سيد قطب (١٩٠٩– ١٩٦٦م)، في **ظلال القرآن**، دار الشروق ، ط ٣٢، المجلد ٦، ص ٣٣٥٨، و١٤٢٣، القاهرة ، هـ ٢٠٠٣ م.

[2] عباس محمود العقاد (١٨٨٩– ١٩٦٤م)، **الفلسفة القرآنية**، ص ١٥٦، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة .

فالفلاسفة الذين قالوا ببقاء النفس بعد الموت يقولون ذلك لأنهم وجدوا القول به ضرورة عقلية يستلزمها اختلاف النفوس وحاجة كل منها إلى التطهر والتكمل في حياة بعد هذه الحياة، ووجوب هذا التطهر والتكمل لاستقامة قضاء العدل الإلهي بين الأخيار والأشرار [1].

فإنا نرى في دار الدنيا مطيعا وعاصيا، ومحسنا ومسيئا، ونرى أن المطيع يموت من غير ثواب يصل إليه في الدنيا، والعاصي يموت من غير عقاب يصل إليه في الدنيا، فإن لم يكن حشر ونشر، يصل فيه الثواب إلى المحسن، والعقاب إلى المسيء، لكانت هذه الحياة الدنيوية عبثا، بل سفها [2].

ومن ناحية أخرى، فالموت عند الصوفية هو أول باب الخلاص، للوصول إلى الحق تعالى. ولذلك نظرتهم إلى الموت لا تقارن بنظرتهم إلى الحياة. لأن كل رغبة الصوفية إنما هي الوصول إلى الحق تعالى، والحياة في الدنيا إنما هي فرصة للاستزادة من الثواب والعمل الصالح للحياة لما بعد الموت.

فالآثار العلمية للفلاسفة الإسلاميين والصوفية خير شهيد على مدى اهتمام هؤلاء بقضية الحياة بعد الموت أو المعاد أو الخلود.

ومع أهمية مشكلة الخلود أو البعث بعد الموت، والاهتمام الكبير الذي أبداه كل من الفلاسفة الإسلاميين والصوفية، إلا أنهم اعترفوا أيضا بصعوبة هذه المشكلة أمام نظر البحث والتحكيم العقلي.

---

[1] عباس محمود العقاد (١٨٨٩– ١٩٦٤م)، **الفلسفة القرآنية**، المرجع السابق، ص ١٦١ .

[2] فخر الدين الرازي (٥٤٣هـ–٦٠٦ هـ/ ١١٤٩ م–١٢٠٩ م)، **الأربعين في أصول الدين**، ج ٢ ص ٦٣، تحقيق دكتور أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، بدون تاريخ .

واعترف بعض الفلاسفة الإسلاميين أن مشكلة المعاد وخلود النفس هي موضوع من أوسع الموضوعات وأشدها صعوبة في مجال الفكر الفلسفي الإسلامي[1]، وذلك لكثرة الآراء واختلافها وتضاربها.

ومن ناحية أخرىٰ، اعترف بعض الصوفية أيضا أن عقل الإنسان المحب للتطلع إلىٰ الفضول، ونفسه التواقة للمعرفة هي التي دفعت كثيرا من الناس إلىٰ الخوض في مشكلة النفس وماهيتها ثم خلودها بعد الموت. ورأىٰ أن هذه النفس التواقة هي التي أطلقت عنان النظر في مسارح الفكر، وفي البحث عن معرفة ماهية النفس ، وهي التي تاهت في التيه، وتنوعت آراؤها فيه، ولذلك لاحظ أنه لم يوجد الاختلاف بين أرباب النقل والعقل في شيء كالاختلاف في هذه المسألة [2].

ومن هنا فلا غرو إذا وجدنا صداما فكريا عنيفا بين الفلاسفة الإسلاميين والصوفية في مشكلة النفس وبالخصوص في مشكلة خلود النفس. وذلك لاختلاف المنطلقات الفكرية بين الفلاسفة الإسلاميين والصوفية ثم اختلاف النهج واختلاف الطرح بينهم.

وهذه الحقيقة تدفعنا لبحث هذه المشكلة في هذا البحث المعد لنيل درجة الدكتوراه في الفلسفة الإسلامية في كلية دار العلوم جامعة القاهرة لكشف حقيقتها

---

[1] ابن رشد (٥٢٠-٥٩٥ هـ/ ١١٢٦-١١٩٨ م)، **فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال**، تحقيق د. محمد عمارة، ص ٥١، دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٦٩ م.

[2] أبو حفص شهاب الدين السهروردي (٥٣٩-٦٣٢هـ/ ١١٤٥-١٢٣٤م)، **عوارف المعارف**، ص٤٠١، مكتبة القاهرة، القاهرة، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.

وإلقاء الضوء على أبعادها وغوامضها، تحت عنوان **"خلود النفس بين الفلاسفة الإسلاميين والصوفية حتى نهاية القرن السادس الهجري دراسة تحليلية نقدية مقارنة "**.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

أولاً : تبرز أهمية هذه الدراسة من كونها تبحث عن قضية من أهم القضايا في الفكر الديني، وهي قضية الخلود بعد الموت. فكل تعاليم الشرائع السماوية إنما قامت على إثبات الخلود بعد الموت، ولولا هذا الخلود فلا معنى لكل تعاليم الدين.

ثانيا : وهذه الدراسة تجيب عن تساؤلات حول مواقف كل من الفلاسفة الإسلاميين والصوفية في قضية خلود النفس بعد الموت، حيث لوحظ وجود اختلاف شديد بينهم في المنهج وطرق الاستدلال والنتيجة في قضية الخلود بعد الموت.

ثالثا : معرفة جدوى الأدلة العقلية في القضايا الغيبيات لا سيما الخلود بعد الموت وحالة الناس في الآخرة . وهل بإمكان العقل إعطاء أحكام يقينية في الأمور الغيبية كالخلود بعد الموت وحالة الناس في الآخرة ؟

رابعاً : مع أهمية هذه الدراسة، إلا أننا نلاحظ قلة الدراسات التي تناولت هذه القضية الهامة إذا ما قورنت بالكتابات الكثيرة التي تناولت جوانب أخرى متعددة من الفلسفة الإسلامية وفلاسفتها والتصوف والمتصوفين.

ويمكنني في هذا البحث أن أشير إلى البحثين السابقين درسا بعض الجوانب من قضية الخلود في الفكر الإسلامي.

الأولى: **"النفس وخلودها عند فخر الدين الرازي"**، للدكتور محمد حسيني أبو سعدة، وهي في الأصل أطروحة ماجستير قدمت في قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة

القاهرة ، بإشراف الأستاذ الدكتور عاطف العراقي. وقد صدرت مطبوعة عن شركة الصفاء للطباعة والترجمة والنشر، عام ١٩٨٩ م.

وكما هو واضح من عنوانها فإنها تتناول قضية خلود النفس عند فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ)، المتكلم الأشعري، ولم تذكر بعض آراء الفلاسفة الإسلاميين والصوفية إلا تكميلة للموضوع محل الدراسة.

الثانية: "مشكلة خلود النفس بين ابن سينا والغزالي" للدكتور جمال رجب سيدبي، وهي في الأصل أطروحة ماجستير في كلية الآداب جامعة القاهرة، وقد صدرت مطبوعة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام ٢٠٠٠ م.

فهذه الدراسة إنما تركز في المقارنة بين آراء ابن سينا (٣٧٠-٤٢٨هـ/ ٩٨٠-١٠٣٧م) وأبي حامد الغزالي (٤٥٠- ٥٠٥هـ/ ١٠٥٨-١١١١م) في قضية خلود النفس، ومحاولة الكشف عن الأصالة والتقليد، والتأثير والتأثر فيما بينهما في القضية، وهي بالتالي لم تغط كل آراء الفلاسفة الإسلاميين والصوفية في القضية.

صعوبة البحث

تكمن صعوبة هذا البحث في تشعب الآراء بين رموز الفلسفة الإسلامية والصوفية، واختلاف الآراء والمواقف فيها حتى داخل زمرة الفلاسفة الإسلاميين أنفسهم أو الصوفية. فلكل شخص رأيه ومواقفه ونهجه الفكري. وصعوبة أخرى هي الاختلاف في الموقف الأساسي بين الفلاسفة الإسلاميين والصوفية في هذه القضية. فمعظم الفلاسفة الإسلاميين يعتمدون على العقل والمنطق لمعرفة حقائق الأشياء، ويخضعون كل مراجع المعرفة بما فيها القرآن الكريم والسنة النبوية إلى حكم العقل

والمنطق. وأما الصوفية، بجانب اعتمادهم على القرآن الكريم والسنة النبوية فهم يعتمدون على الذوق والوجدان. ولذلك فمعرفة آراء كل شخص من رموز كل طائفة تحتاج إلى جهد كبير، والمقارنة بين تلك الآراء تحتاج إلى جهد أكبر.

منهج البحث

وأما المنهج المتبع في هذا البحث فهو **المنهج التحليلي النقدي المقارن**. وذلك بتحليل آراء الفلاسفة الإسلاميين والصوفية في مشكلة خلود النفس، ثم نقد آرائهم في المسألة، ثم المقارنة بين تلك الآراء، لمعرفة التأثير والتأثر بينهم، ونواحي القوة والضعف فيها، والأصالة والتقليد فيهم.

خطة البحث

قسم هذا البحث إلى مقدمة وخمسة فصول، وخاتمة وفهارس. ففي المقدمة تكلم الباحث عن أهمية الموضوع وسبب اختياره ودراسات سابقة للموضوع وصعوبة الموضوع ومنهج كتابة الموضوع.

وفي الفصل الأول تكلم الباحث عن مفهوم النفس والروح والعقل والقلب والعلاقة بينها.

وفي الفصل الثاني تكلم الباحث عن طبيعة العلاقة بين النفس والبدن.

وفي الفصل الثالث تكلم الباحث عن مصير النفس بعد الموت عند الفلاسفة الإسلاميين.

وفي الفصل الرابع تكلم الباحث عن مصير النفس بعد الموت عند الصوفية.

وفي الفصل الخامس تكلم الباحث عن بعث الأجساد بين الفلاسفة الإسلاميين والصوفية.

ثم ختم البحث بالخاتمة ونتيجة البحث، ثم ذيّله بالفهارس.

ثم جاءت خاتمة البحث متضمنة أهم النتائج التي تم التوصل إليها.

الخاتمة

وفي ختام هذه المقدمة، أودّ أن أذكر بالوفاء والعرفان لأساتذتي الأجلاء في كلية دار العلوم الذين أفادوني بملاحظاتهم القيمة طوال السنوات التي قضيتها في إعداد هذا البحث، وبالخصوص **الأستاذ الدكتور/ سيد رزق الحجر**، أستاذ الفلسفة الإسلامية في كلية دار العلوم، على كل مجهوداته وأياديه البيضاء لي، فله مني جزيل الشكر.

وفي الختام أسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل عملي هذا، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول

النفس والروح والعقل والقلب

تعريف النفس والروح

تعريف النفس والروح في اللغة العربية

الروح في القرآن الكريم والسنة النبوية

النفس في القرآن الكريم والسنة النبوية

تعريف النفس والروح عند الفلاسفة الإسلاميين

تعريف النفس والروح عند الصوفية

العقل عند الفلاسفة الإسلاميين والصوفية

تعريف العقل في اللغة العربية

العقل في القرآن الكريم والسنة النبوية

العقل عند الفلاسفة الإسلاميين

العقل عند الصوفية

القلب عند الفلاسفة الإسلاميين والصوفية

القلب في اللغة العربية

القلب في القرآن الكريم والسنة النبوية

القلب عند الفلاسفة الإسلاميين

القلب عند الصوفية

تعريف النفس والروح

تعريف النفس والروح في اللغة العربية:

ذهب ابن دريد في النظر إلى النفس على أنها مبدأ الحياة، وقال"النَّفْس: نَفْس الإنسان والدابّة وكلّ شيء"[١]. وقال الجوهري[٢] وأصحاب المعاجم[٣]، إن النفس هي الروح، مثل أن يقال: "خرجت نفسه" أي خرج روحه. وقال صاحب تهذيب اللغة إنه إذا كان من اللغويين من سوّىَ بين النفس والرُّوح وأنهما شيء واحد، إلا أن النفس مؤنثة والرُّوح مذكَّر[٤]، ولكن منهم من فرّق بين النفس والروح. فقالوا إن الرُّوحَ هو الذي به الحياة، والنفس هي التي بها العقل[٥].

وقالوا أيضا من ناحية أخرىٰ: إن النفس على وجهين؛ أحدهما قولك: خرجت نفس فلان أي روحه. ويقال: في نفس فلان أن يفعل كذا وكذا، أي في روعه. والضرب

---

[١] ابن دريد البصري الأزدي (ت٣٢١هـ)، **جمهرة اللغة**، مطبعة مجلس دائرة المعارف، حيدر آباد، الدكن، الطبعة الأولىٰ، ١٣٤٤ هـ، مادة: س-ف-ن، ج ٣ ص ٣٩.

[٢] الجوهري (ت٤٠٠ هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، يناير ١٩٩٠ م، مادة: نفس، ج ٣ ص ٩٨٤.

[٣] الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، مادة النون وما يتصل بها، ص ٥٠١؛ ومحمد بن أبي بكر الرازي، **مختار الصحاح**، مكتبة لبنان، ١٩٩٢ م، ص ٢٨٠، وابن منظور، **لسان العرب**، تحقيق عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، بدون تاريخ، باب نون مادة نفس، ج ٦ ص ٤٥٠٠؛ و مرتضىٰ الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: حسين نصار، وزارة الإرشاد والأنباء، كويت، ١٣٦٩ هـ - ١٩٦٩ م، مادة ن ف س، ج ١٦ ص ٥٥٩.

[٤] **تهذيب اللغة**، الأزهري، الدار المصرية للتأليف والترجمة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بدون تاريخ، باب السين والنون، مادة نفس، ج ١٣ ص ٧؛ و **لسان العرب**، ابن منظور، ج ٦ ص ٤٥٠١.

[٥] **تهذيب اللغة**، المرجع السابق، ج ١٣ ص ٧، و**لسان العرب**، المرجع السابق، ج ٦ ص ٤٥٠١.